اسم الدرس : وقفات مع: سورة التغابن

تصنيف الدرس : درس

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد صلى الله عليه وسلم.

بإذن الله –عز وجل– سنتكلم اليوم عن سورة التغابن، هذه السورة العظيمة.

لو تتذكرون، نحن أخذنا سورة الصف وسورة الجمعة وسورة المنافقون، فكان أغلب الكلام –وهذا بالطبع لجهل المتكلم وقلة علمه– كان أغلب الكلام في السور السابقة كلام فكري ومشاكل في المجتمع و..

فتأتي هذه السورة لتُخرج الإنسان من هذه الدائرة الفكرية، وتجعله يركز، وينقل بصره من المشاكل الموجودة في المجتمع، والأخطار التي تحيط بالمجتمع، وكيفية توحيد المجتمع إلى الدار الآخرة، وأن كل خطوة يخطوها في الدنيا، أو كل كلمة يقولها في الدنيا، لها رد فعل فوري في الآخرة.

فمثلا "سبحان الله العظيم وبحمده" لها رد فعلي بنخلة تغرس في الجنة!

فالذي يعيش في الدنيا وعينه على الآخرة؛ لا يُغبَن، هذا هو مفاد السورة.

الذي يعيش في الدنيا ومتصل بالدار الآخرة لا يُغبن في أي شيء من أفعاله.

تعالوا لنرى سورة التغابن..

سورة جميلة جدًا، سورة رائعة!

وأرجو أن أي سورة نأخذها:

أن تصلي بها، احفظها، هي صفحتين، وصل بها النوافل، وصلّ بها قيام الليل؛ بحيث تتقلب المعاني بداخلك، وتؤكد على المعاني التي تعلمناها مع بعضنا كل فترة.

تبدأ سورة التغابن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ * يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" [التغابن:1-4]

القرآن جميل جدًا!

فلو أن الإنسان ترك قلبه يعيش مع القرآن، القرآن سيأخذ قلبك ويطوف به في أماكن، لا يمكن تُجمع في أسطر، كما جمعت هكذا في القرآن..

فهذه الثلاث أو الأربع سطور طافوا بك الدنيا كلها، كل شيء، ما علمت وما لم تعلم.

تكلمت عن صفات الله بصورة موسعة لا يمكن إدراكها، ولا يُمكن الإحاطة بها مثلما أتت في القرآن.

"يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" [التغابن:1]

تبدأ السورة بصيغة المضارع التي ليس فيها أي توقف:

"يُسَبِّحُ لله"

تدخل السورة وأنت تسمع تسبيحًا لا يتوقف!

فأنت تدخل سورة التغابن، ولا يتوقف التسبيح في الكون كله ولو لحظة واحدة، سبحان الله وبحمده.

هل أنت متخيل؟

أن تبدأ سورة والمشهد الصوتي رقم واحد في أول آية: سبحان الله وبحمده!

تخيل أنك دخلت مسجدا فوجدت سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، 24 ساعة، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم!

" يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ "

الذي يدخل مكانًا مثل هذا، أو يدخل سورة مثل هذه، بداية من اللحظة التي يسمع فيها كلمة " يُسَبِّحُ لِلَّهِ " يحدث في داخله أكثر من شيء، وهذا هو الإنسان المتفاعل مع القرآن..

أولا: أنه لا يريد أن يضيع لحظة؛ لأن الكون كله لا يتوقف عن التسبيح.

ثانيا: منظر الكافر أو العاصي وهو شاذ بعيدًا عن هذا التسبيح، فيكون نشازا في هذا الكون.

" يُسَبِّحُ لِلَّهِ **مَا** فِي السَّمَاوَاتِ **وَمَا** فِي الْأَرْضِ "

فالكافر الذي لا ينزه الله سبحانه وتعالى يكون نشازا ويكون شاذًا في الكون.

" يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ "

هاتان الكلمتان جمعتا كل شيء..

" مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ "

"لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ"

هذا الإله العظيم الذي يُسبح له، له الملك سبحانه وتعالى، يملك كل شيء.

جملة "لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" هي جملة مهمة في العقيدة الإسلامية، جملة يجب أن يتربى عليها الإنسان من صغره.

" يا غلامُ ، إني أعلِّمُك كلماتٍ : احفَظِ اللهَ يحفَظْك ، احفَظِ اللهَ تجِدْه تُجاهَك ، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ ، وإذا استعنْتَ فاستعِنْ باللهِ ، واعلمْ أنَّ الأمةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوك بشيءٍ ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لك ، وإنِ اجتمعوا على أن يضُرُّوك بشيءٍ لم يضُروك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك ، (رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفَ) " [1]

هذه معانٍ في العقيدة، هذه هي العقيدة.

أنت تحتاج يوميًا، صباحًا ومساءً، أن تكرر جملة (له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير) مائة مرة في الصباح ومائة مرة بالمساء، فشاهد احتياجك لها!

تخيل لو أنك ذهبت لطبيب، وكتب لك دواءً، دواء شراب مثلا، وهذا الدواء يجب أن تأخذه كل ربع ساعة..

ماذا؟!

كل ربع ساعة؟

كيف هذا؟!

حسنا، خذه مائتي مرة في اليوم..

قسّم هذا الدواء خلال اليوم لتأخذه مائتي مرة في اليوم!

فتخيل دواءً أنت تحتاج أن تأخذه مائتي مرة في اليوم!

إلى أي مدى أنت تحتاج إليه؟!

وإلى أي مدى يؤثر فيك؟

وإلى أي مدى يكون انشغال ذهنك عن هذا المعنى خطر؟!

انشغالك عن هذا المعنى يجعلك تضل!

[1] الراوي : عبدالله بن عباس | المحدث : الترمذي | المصدر : سنن الترمذي | الصفحة أو الرقم: 2516 | خلاصة حكم المحدث : صحيح

أغلب أفعال الناس الذين تاهوا، أغلب أفعال عبيد الدينار والدرهم، أغلب أفعال عبيد الخميصة والقطيفة، سببها: أنهم لم يعرفوا أن الله " لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"

فلو علم أنه "لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"

لم يكن ليفعل هذا..!

لم يكن ليخاف من فلان،

لم يكن تذلل لفلان،

لم يكن ليعصي الله عز وجل من أجل إرضاء فلان،

ولم يكن ليطلب الرزق بمعصية؛ لأن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته.

المشكلة أن المعاني بسيطة، ومع ذلك هناك مشكلة في ترسخها في قلوبنا.

هل تعلمون ماذا كان يقول الشيخ يعقوب في آية:

"قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ"؟

كان يقول: أنا أريد كلمة يَدْخُلِ الْإِيمَانُ ..

كيف يدخل؟

كيف أُدخل الإيمان في قلبي؟

" وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ "

فيقول: أنا أريد أن أفعل هذه، فكيف لي أن أفعلها؟!

هاتان الجملتان، كيف أضعهم في قلبي؟!

فمعنى " لَهُ الْمُلْكُ"

يملك كل شيء، نواصي الخلق بيده

" وَلَهُ الْحَمْدُ "

وكل أفعاله يُحمد عليها سبحانه وتعالى

" وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"

وأي شيء تتخيله أو لا تتخيله الله قدير عليه سبحانه وتعالى.

هذا المعنى عندما ترسَّخ في قلب إبراهيم، أصبح وهو محلق في الهواء ليُلقى في النار التي أوقدوها ليلقوه فيها، هو في الهواء ويُلقى في النار، يقول: حسبي الله ونعم الوكيل!

عندما دخلت هذه الكلمة قلب سيدنا هود، وقف أمام قومه يقول لهم:

"فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم". [هود: 55-56]

الإيمان يمنحك قوة عجيبة..

فهذا المعنى أنت تحتاج إليه يوميا، محتاج أن تحفر هذا المعنى في قلبك.

" لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ"

تذكر أن الذي يملك الملك والرزق وكل شيء في الدنيا هو ربنا سبحانه، وأفعال الله كلها تستحق الحمد وصفاته وذاته سبحانه وتعالى، وهو على كل شيء قدير.

كيف تُصرف عنه؟ كيف تُؤفكُ عنه؟ كيف تنشغل عنه؟

فحقيقةً تحقيق معاني الإيمان على بساطتها تحتاج إلى مجاهدة.

يبهرني موقف النبي –صلى الله عليه وسلم– يكون نائما في ظل شجرة، ويفتح عينيه فيجد شخصا يمسك السيف، ويقول له: من يمنعك مني؟ والنبي –صلى الله عليه وسلم– يرد: الله.[2]

ما معنى هذا الرد ؟ قال له: الله!

فالرجل قال: من يمنعك مني؟

فالرجل لم يتوقع هذا الرد، الذي يمسك السيف هو الذي خاف وليس النبي.

قال: الله، قالها ثلاثا، فسقط السيف من يد الرجل.

كلمة الله –التي أوقعت السيف من يد الرجل– تختلف عن كلمة الله (مرققة) التي تقولها عندما تستيقظ وتفاجيء بشخص أمامك، فكلمة "الله" هذه خارجة من قلب **يعرف عظمة وقدرة الله –عز وجل–!**

فالمعاني الجميلة التي في أول السور، والتي في أغلب السور المكية –وإن كانت هذه السورة مدنية– الذي خلقكم، وخلق السماوات، ويعلم و...

[2] " قاتَل رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مُحاربَ خصَفةَ بنخلٍ فرأَوْا مِن المسلمينِ غِرَّةً فجاء رجلٌ منهم يُقالُ له: عوفُ بنُ الحارثِ أو غَورثُ بنُ الحارثِ حتَّى قام على رأسِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بالسَّيفِ فقال: مَن يمنَعُك منِّي ؟ قال: (اللهُ) قال: فسقَط السَّيفُ مِن يدِه فأخَذ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم السَّيفَ فقال له: (مَن يمنَعُك منِّي ؟) قال: كُنْ خيرَ آخِذٍ قال: (تشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ ؟) قال: لا، ولكنْ أُعاهِدُك على ألَّا أُقاتِلَك ولا أكونَ مع قومٍ يُقاتِلونَك قال: فخلَّى سبيلَه.."

الراوي : جابر بن عبدالله | المحدث : ابن حبان | المصدر : صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 2883 | خلاصة حكم المحدث : أخرجه في صحيحه

هذه المعاني حتى تستقر في قلوب الصحابة؛ جاهدوا أنفسهم سنوات وقاموا بها وكابدوها وكرروها..

فالقرآن نزل ليُتَخلق به، وليس لنقول: " لَهُ الْمُلْكُ "، واللام والهاء للملكية،

هكذا فقط!

هذه هي البداية حتى تبدأ بالفهم، لكن هذا ليس الأصل،

الأصل هو **أن تمشي في الشارع عالمًا موقنًا أن الذي يملك نواصي العباد والمخلوقين هو الله.**

كما قلنا في سورة المنافقون في المرة الماضية؛ تسمع أخبارا عن الذين يفتعلون أزمة اقتصادية حتى يضيقوا على الإسلاميين ويمنعوا المسلمين، فماذا تقول؟

"ولله خزائن السماوات والأرض" [المنافقون:7]

كلما قالوا لك شيئًا يكون قلبك متصلًا بالله،

كلما سمعت خبرًا فيه أراجيف يكون قلبك متصلًا بالله..

هناك نماذج كثيرة من البشر كان قلبهم متصلا بالله، مثل: سيدنا إبراهيم، وسيدنا هود، والنبي صلى الله عليه وسلم، أو جُريج حينما قال لهم: دعوني أصلي ركعتين. [3]

القلوب المتصلة بالله دخلت فيها هذه المعاني.

" لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "

فالشاهد أنه **على قدر استقرار هذا المعنى في قلبك، على قدر عدم توقفك عن التسبيح.**

هذه المعاني أتت بصيغة المضارع: " يُسَبِّحُ لِلَّهِ"..

لماذا الذي يستقر في قلبه " لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " لن يتوقف عن التسبيح؟

لأنه طوال الوقت يُشاهد أفعال الله.

فمثلًا، خرج من المسجد ووجد شخصا يركب وسيلة مواصلات، يرى تقدير الله الذي سخر هذا لهذا..

سبحان الله!

[3] " .... فَلَمَّا ولَدَتْ قالَتْ: هو مِن جُرَيْجٍ، فأتَوْهُ فاسْتَنْزَلُوهُ وهَدَمُوا صَوْمعتَهُ وجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ فقالَ: ما شَأْنُكُمْ؟ قالوا: زَنَيْتَ بهذِهِ البَغِيِّ، فَوَلَدَتْ مِنْكَ، فقالَ: أيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجاؤُوا به، فقالَ: دَعُونِي حتَّى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى،..."

الراوي : أبو هريرة | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2550 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

يتأمل سقوط ورقة، حياة شخص، نجاة شخص، مرض شخص، إنقاذ شخص، هلاك إنسان،..

هو يعلم أنه سبحانه كل يومٍ هو في شأن، فلا يفتر عن تسبيح الذي له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

"هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " [التغابن:2]

"هُوَ الذِي خَلقَكُم"

الاسم الموصول (الذي) يفيد التعريف..

التعريف بالله –سبحانه وتعالى– في صفةٍ لا يُشارك فيها، ولا يجترئ مُجترئ على أن يقول أنه يشارك الله فيها. ولو ادعى مدعٍ أنه يشارك الله فيها، فليخلق ذبابة، بل فليجتمعوا حتى يخلقوا ذبابة ولن يستطيعوا، "ضعُفَ الطالبُ والمطلوب" [الحج:73] ، "ماقدروا الله حق قدره" [الحج:74]

"هُوَ الذِي خَلقَكُم"

وهذه التي بدأ القرآن بها..

"اقرأ باسم ربك الذي خلق" [العلق:1]

هذه هي البداية: أن تعلم أن الله خلقك.

العجيب أن هذه السورة سورة مدنية وتتكلم في البدايات!

فمن المعاني:

* أن هذه البداية –التي تأخذ الطابع المكي– تعلمك:

إياك أن تنسى البدايات!

إياك أن تنسى المعاني الجميلة في بداية الالتزام،

إياك أن تقول: يااااه، هذه المرحلة قد تجاوزتها!

كان الصحابة، وخاصة سيدنا أبو بكر من تواضعه، لما رأى أهل اليمن ورقة قلوبهم، قال:

هكذا كنا حتى قست قلوبُنا!

سبحان الله..!

دائمًا تذكر البدايات، فالبداية دائمًا في علاقتك بالله..

فأول علاقة لك مع الله؛ أنه خلقك، هذه هي أول علاقة

وأول علاقة للكون كله مع الله؛ هي أن الله أوجده..
فهذه هي البداية، أول علاقة بين الكون وبين الله؛ أن الله خلقه.

انظر إلى عِظَم التوصية بالأم والأب، لأنهم كانوا سببًا في إيجاد الإنسان وليس خلقه..
فالوصية بهما عظيمة: "فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا"[الإسراء:23] و و و...إلخ..

فكيف إذًا بالذي خلقك وأوجدك من العدم، من لا شئ ؟!
وأوجد الكون أيضا من لا شيء؟!
سبحانه وتعالى..
فكيف ينبغي أن يكون شعورك تجاهه ؟

ولله المثل الأعلى؛ لو أن أحدا كان سببا في سفرك إلى السعودية مثلًا، ووظفك في عمل ووظيفة مرموقة، براتب عالي، عشرات الآلاف من الريالات،
فتظل دائمًا تقول: الذي أحضرني إلى هذا المكان؛ لا يمكن أن أنسى فضله علي أبدًا!

فكيف بالذي أحضرك إلى هذه الدنيا، وأخرجك من الموت إلى الحياة،
ما هو شعورك تجاهه؟!
هذه نقطة..

فتذكر دائما شعورك بالله سبحانه وتعالى:
"هو الذي خلقكم "

النقطة الثانية:
هذه هي البداية، كما جاء في قوله تعالى: "اقرأ باسم ربك الذي خلق" [العلق:1]
هذه كانت البداية، وأول ما نزل من القرآن..

لماذا صفة الخلق تحديدًا هي البداية في القرآن؟
كما قلنا سابقًا؛ لأن هذه الصفة، هذا الأمر، لا يُجادل فيها أحد.
عندما تتكلم مع أحد وتحدثه عن الله، تكلم أولا عن صفة الخالقية.

"هُوَ الذِي خَلقَكُم"

ثم العجيب، أنه: فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ"

وتقديم الكافر علي المؤمن؛ لكثرة الكفار

"وقليلٌ من عبادي الشَكور" [سبأ:13]

"فَمِنْكُمْ كَافِرٌ"

بعد أن خلقهم كفروا به، كفروا بخالقهم، وفي هذا بيان شنيع فعلهم..

أحيانًا تفكر متعجبًا .. كيف؟!

أكفرت بالذي خلقك؟!

كيف!

"قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجلا "

كيف!

أنت إذًا مجرم شديد الإجرام..

قمة الإجرام أن يكون هذا تعاملك مع الذي خلقك، تكفر به!

"هُوَ الذِي خَلقَكُم"

ولكن للأسف:

" فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ"

لكن، لا يخرج فعل من أفعالك عن علم الله:

" وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ "

ما: كل ما تعملون، بكل شمولية، كل أعمالك صغيرها وكبيرها، ظاهرها وخفيُها

"بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"

بصيغة المضارع؛ لبيان أنه لا تخرج لحظة عن رقابة الله عز وجل.

"سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ" [الرعد:10]

أي أن تفكيرك الآن والوساوس التي بداخلك، هي عند الله علانية، ككلامك وجهرك، يستوي في علمه سبحانه وتعالى هذا وذاك.

"خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ" [التغابن:3]

" خَلَقَ السماواتِ والأرضَ بالحق "

بدأ أولا بخلق الإنسان، ثم أتى بخلق السماوات والأرض.

أحيانا أتمنى أن أقابل أحدا من الملحدين، يكون فعلًا صادقًا، ويحكي لي ما الذي بعقله؟!

كيف وصل هذا العفن إلى دماغه، يشرح لي كيف!

كيف استطاع أن يقول ذلك؟! ...كيف!

ألم ينظر مرة للسماء فوقه كيف بناها و زينها الله؟!

" أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ " [الأعراف:185]

" وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُم"

الله سبحانه وتعالى لما تكلم عن الإنسان ذكر خلقه، ثم ذكر خلق السماوات والأرض، ثم عاد للحديث عن الإنسان مرة أخرى..

وكأن الإنسان له كمال عناية وكمال اهتمام؛ لأنه محل التكليف. "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَان" [الأحزاب:72]

فالإنسان مكرم من الله عزوجل؛ لأنه هو المكلف..

ودائمًا نقول: أن ((التكريم معه تكليف))، فالتكريم وزيادة الرفعة دائما معها زيادة تكليف.

كما أن النبي صلي الله عليه وسلم يُكرم؛ فالتكليف عليه أشد صلى الله عليه وسلم.

"وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُم"

تخيل العلاقة الجميلة..

الله هو الذي صورك، أريدك أن تستشعرها..

تخيل طفلًا صغيرًا، عندما يحضر الصلصال، ويقوم بتشكيل أيّ شكل؛ مثلًا شكل لعبة أو حيوان من الحيوانات أو إنسان آلي، فتحس بالألفة بينه وبين ما شكّله وصنعه بيديه، هو الذي شكّله وشكّل له يدين ورجلين.

فلنتدبر..

ربي هو الذي صوّرني بهذه الصورة، وهو الذي وضع لي هذين العينين والأذنين، وجعل هذا الأنف... إلخ

أنت في أحسن صورة..!

إذا كنت غير مصدقٍ لذلك فانظر إلى خلق البهائم، تجد أن الله تعالى صوّر الإنسان في أحسن صورة.

بعد "فَأَحْسَنَ صُوَرَكُم"

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟!

هل جزاء الإحسان –الذي أسداه إليك ربك– إلا أن تحسن في معاملتك له؟!

"وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ"

ستظل تلهو وتدور في هذه الحياة، وفي النهاية سترجع له وتُسئل عن النقير والقطمير.

إذًا، رقم 1: **أنه تعالى خلقنا، وخلق السماوات والأرض، وصورنا فأحسن صورنا**..

هذه الجزئية، كثير من الناس يعترفون بها، جزئية أنه تعالى خلقنا، وخلق السماوات والأرض،

لكن ماذا عما بعد ذلك، والمترتب على ذلك؟!

كثير لا يفكرون في هذا..

ماذا بعد خلق السماوات والأرض وخلق الإنسان؟

لا يفكرون في ذلك..

هل خلقنا الله عبثًا؟

التفكر الطبيعي الصحيح في خلق السماوات والأرض أن تقول:

"ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك"

لا يمكن أن يكون هذا باطلا أو عبثًا!

ولله المثل الأعلى، تخيل مثلًا:

أن أحدهم اشترى أرض 5000 متر، وبناها لأجل التعليم، وبنى مدارس ومعاهد وجامعات، وأتى بأحسن الأساتذة والمدرسين، فتسأله: لماذا فعلت ذلك ؟

فيقول لك: بلا سبب ولا هدف!

فلا بأس أن يدرس الطالب أو لا يدرس، أو يدرس سنتين أو ثلاث، لابأس أن يخرج في منتصف

المطاف، من أراد أن يذاكر فليذاكر، ومن لايذاكر فلا بأس!

ماذا ستقول له أنت؟

ستسأله ما هذا العبث الذي تصنعه؟ هذا عبث!

هل هذه ملاهي أم مباراة؟!

حتى المباريات لها نظام وقوانين، وإلا فسدت ولم يعد لها قيمة..

تخيل مباراة، فريقين يجرون في الملعب بلا مرمى للأهداف، مجرد أنهم يجرون بالكرة في الملعب.. ثم ماذا؟!

وتدور الأسئلة..

أريد أن أكون إنسانًا جيدًا، كيف أكون إنسان صالحًا؟

ماذا أفعل وماذا أترك؟

ولم وكيف وأين؟!

هذا بالضبط حال من يعيش في الدنيا وليس معتقدًا بوجود آخرة..

ماذا تريد؟!

كيف لا يكون هناك آخرة؟

كيف لا يكون هناك حساب؟

كيف تكون الأعمال غير مسجلة وكل يفعل ما يحلو له ولا حساب؟

مستحيل!

حاشاه سبحانه وتعالى من هذا العبث!

لو أن كل كلمة قلتها لم تكتب، لكان هذا عبثًا!

لو أن كل نظرة نظرتها لم تكتب؛ لكان هذا عبثًا!

"أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا"؟

ولذلك قبل الكلام عن البعث، جاء الكلام عن العلم..

انظر إلى الترتيب..

فعندما تأتي لتتكلم مع أحدهم لتصل به إلى الكلام عن البعث؛

ابدأ أولًا:

أن الله غني، ويسبح له كل شيء، وله الملك وله الحمد، وهو علي كل شئ قدير،

هذا أمر مفروغ منه...

ثانيًا: لهُ صفة لا يُشارك فيها ولا يُجادل فيها: الخلق

"أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ"

أرني ماذا فعلت أنت!

السؤال الذي تسأله لمن يدعي الألوهية لأحد؛ أن تقول له: ما دوره في الخلق؟!

فالذي يتكلم عن سيدنا عيسي عليه السلام، ويرفعه فوق منزلته –فوق مقام العبودية لله– والمسيح لايستنكف عن عبوديته للملك سبحانه وتعالى..

فهو عبد، ونبينا محمد صلي الله عليه وسلم عبد، فقال: إنما أنا عبد[4]، وهذا شرفهم.

فالشاهد ما دور من تدعون له الألوهية في الخلق؟

مثلا، المسيح –عليه وعلى نبينا أفضل السلام– ما دوره في الخلق؟ ماذا صنع؟

النجوم مثلا، هل خلق أحدهم النجوم وخلق الآخر الأشجار؟!

تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا!

فالبداية أولًا أنه هو الإله سبحانه وتعالى.

ثانيًا: صفة الخلق والعلاقة الخاصة بين الله والإنسان، وأنه صوره فأحسن صورته.

ثالثًا: العلم.

ولذلك، تجد أن بعض من يريد الهرب من بعض التكاليف، من الممكن أن ينكر أن الله يعلم الجزئيات!

فماذا قال لهم الله في سورة فصلت؟

"وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ.." [فصلت:23]

إلى ماذا أدى بكم هذا الظن؟

"..أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ"

إحساسك أن كل أفعالك ليست مراقبة؛ يودي بك إلى جهنم، لماذا؟

لأن شعورك هذا سيؤدي بك أن تفعل ما تشاء، وتفجُر كما تشاء.

[4] " لا تطرُوني كما أطرتِ النصارَى ابنَ مريمَ إنما أنا عبدٌ فقولوا عبدُ اللهِ ورسولُه"

الراوي: عمر بن الخطاب | المحدث : ابن باز | المصدر: مجموع فتاوى ابن باز | الصفحة أو الرقم: 2/405 | خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح

يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ " [التغابن:4]

"يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.."

ثم خطاب مباشر داخل نفسية الانسان

"وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ"

أولا،

وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور".

قَلّ أن يجتمع في القرآن في آيةٍ واحدة –سطر وربع– ذكر العلم ثلاث مرات:

"**يَعْلَمُ** مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ

وَاللَّهُ **عَلِيمٌ** بِذَاتِ الصُّدُور"

قد يأتي وصف خبير مثلًا، لكن أن يتكرر العلم ثلاث مرات، نادرًا..

لماذا تكرار صفة العلم؟!

لأنها التي سيترتب عليها **الحساب**، ولا يضيع عنده شيء البتة سبحانه وتعالى.

"لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى" [طه:52]

ذكر سبحانه وتعالى قول فرعون:

"فما بالُ القرون الأولى" [طه:51] ؟

كأن فرعون يقول:

أنت تريد أن تقنعني أن كل هذا مُحصىً ومكتوب وسيحاسبون ؟!

فردَّ موسى:

"قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ.."

ولا تظن أن هذا الكتاب للحفظ، لا..

بل إنه سبحانه لا يضل ولا ينسى:

" لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى" [طه:52]

فالشاهد؛

يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ " [التغابن:4]

انظر إلى التنقل في الخطاب..

ياليتنا نرجع لهذا الخطاب الدعوي، فيكون كلامنا مع الناس بهذا الخطاب..

الكلام عن الله، المبادئ العامة للدين، الله الذي خلق، الله يعلم أفعالنا، الله الذي يكتب أفعالنا علينا وسوف يحاسبنا عليها، الله الذي إليه المصير..

نتمنى لو أنهُ في بداية أي برنامج تلفزيوني، أو حواري، أو برامج التوك شو، نتمنى أن نقول للآخر قبل بداية الحلقة:

"أنا فقط أريد أن أقرأ عليك أربع آيات من سورة التغابن!

هذه الحلقة ستسجل وسنسأل عنها، كل كلمة عند الله سبحانه وتعالى مدونة.."

نريد العودة لهذا الخطاب..

الله يعلم كل كلمة:

"وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ " [التغابن:4]

بعد الإقرار بهذه البداية، وهذا –كما قلنا– حتى يستقر في القلوب،

فإنه يجب على الإنسان أن يجاهد ويذكر نفسه ويكرر هذه المعاني..

هذه الآيات؛

قُم بتكرارها عشرات المرات،

قم بِتكرارها في صلواتك..

تخيل، لو أنك هكذا تسير في طريقك ولديك عقيدة بأن الله "عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ"

تأتي لتنام، ترى أحلام اليقظة، فتنتفض وتقوم، وتتفل عن يسارك ثلاثا وتتوضأ،

لماذا؟

لأن الله عليمٌ بذات الصدور.

وتناجيه:

يا عليمًا بذات الصدور؛ اعفُ عني..

هو يعلم فيم فكرت وخواطرك إلى أين ذهبت!

انظر إلى علو الهمة في السورة؛ حتى خواطرك لا تُغبن فيها!

فهذا الذي تأتي له وسوسة من الشيطان بمعصية ثم يُدافعها ويدفعها بتوفيقٍ من الله،

هذا ينال ثوابًا على مدافعته تلك.

كما قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا "

من سمات أهل التقوى:

"إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ"

كان يحاول أن يغويه، يحاول أن يُزين له المعصية، ويقربها إلى قلبه، يلف الشيطان حوله ويطوف محاولًا إقناعه وإغواءه بالمعصية..

"إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ "

إنها مدافعة الخواطر!

فالإنسان لا يُغبن في خواطره،

خواطرك تجاه الشهوات،

خواطرك تجاه إخوانك..

أحيانا الشيطان يبيت مع أحدنا ليلة كاملة، يوسوس له:

هل يجوز ما فعله فلان بك؟

وهل هذه أخلاق؟ وهل هذا دين؟

ويقوم بتصوير منظره لك في الحلم وأنت تضربه، وتفرغ غلك فيه،

وبعدها تُجلسه وتضربه ،وهكذا طول الليل، تضربه وتسبه..

فالشيطان قام بتضخيم الموضوع داخلك،

الشيطان يسرح بالإنسان..

فمدافعة الخواطر تكون عن طريق عقيدة:

"وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ " [التغابن:4]

"أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" [التغابن:5]

قال الله في أول السورة:

الناس فريقان لاثالث لهما:

" فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ"

يعني يوم القيامة هناك جنة، وهناك نار.. فقط!

ليس هناك مكان آخر..

ليس هناك مثلًا أماكن استراحة لهذا أو ذاك، لا ليس هناك، فقط جنة أو نار!

حتى أولئك الذين على الأعراف مآلهم حسب أغلب العلماء إلى الجنة،

يعني لا يوجد شيء اسمه أن تظل في المنتصف؛ هي جنة أو نار. الصحائف حسنات أو سيئات.

" فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ"

فبدأ بالكلام عن الكفار..

إذًا، الكلام عن الكفار، لماذا وصلوا للكفر؟

وأهل الايمان، ماذا فعلوا؟ وكيف يحافظون على الإيمان؟

فبدأ بالكلام عن الكفار..

وبعض المفسرين قال:

بدأ بالكلام عن الكفار وبيان حالهم؛ لأنهم أكثر الخلق.

" وَإِن تُطِعْ **أَكْثَرَ** مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ" [الأنعام:116]

فقال تعالى:

"أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ" ؟

لماذا اخترت هذا الطريق؟

لماذا اخترت السير في هذا الطريق ؟

ألم ترَ ما حدث لمن قبلك؟

ألم تر ما حدث للذين حاربوا الله وعاندوه؟

"فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ"

الوبال: العذاب الثقيل، العاقبة الثقيلة..

إنه يحمل حملًا ثقيلًا..

أين يقف؟

أيُحارب الله؟!

عندما نسمع ذلك الأثر الذي رُوِيَ عن ابن عباس؛ أنه يُقال للمرابي يوم القيامة: خذ سلاحك واستعد للحرب[5]،

فيقول: مع من؟

فيُقال له: مع الله!

تخيل ما وقعها على قلبه؟!

تخيل –ولله المثل الأعلى– أنك في مكان ما، ودخل عليك مخلوق من مخلوقات الله، دخل عليك ثلاثة أسود مثلًا، وقيل لك: هيا استعد لمحاربة تلك الأسود..

كيف ستستعد؟!

ستنهار على الأرض، وتستعد لأن يفترسوك..

ماذا ستفعل ؟!

لا حيلة ولا مفر!

ولله المثل الأعلى؛

تخيل هذا الذي يُقال له: خذ سلاحك للحرب، **مع الله!**

سينهار!

فأنت، إذا قيل لك هناك أسود ستدخل عليك– وهي أحد مخلوقات الله–، ستنهار، قوتك ستنهار..

فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ".

---

[5] عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ : يقالُ يومَ القيامةِ لآكلِ الرِّبا : خُذ سلاحَكَ للحَربِ . وقرأَ : الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ قالَ : وذلِكَ حينَ يقومُ مِن قبرِهِ

الراوي : - | المحدث : أحمد شاكر | المصدر : عمدة التفسير| الصفحة أو الرقم: 330/1 | خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح

"ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ" [التغابن:6]

"ذَلِكَ"

قيل: أي كفرهم، أي كيف وصلوا لهذا المصير ولهذه المرحلة.

"ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا" [التغابن:6]

إذًا، فهي سلسلة، أغلب البشر هكذا..

صعبٌ على الإنسان أن يشعر أن هناك من هو أفضل منه، وكان هذا دائمًا عذرٌ متكررٌ على لسان أقوام الرسل:

" أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمهمَا لَنَا عَابِدُونَ" [المؤمنون:47]؟

"فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ.."[القمر:24]؟

إذًا نحن: "..إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ"!

واحدٌ مثله كيف يكون نبيًّا؟!

يتعجبون!

هو يقيسها هكذا..

"فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا" ؟!

أنت، تريد أن تهديني؟!

أنت؟!

الذي كنت معي أمس وأول أمس، ومن بني قومي، تريد أن تهديني؟!

"أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا"

انظر لهذه الكلمة..

أنت، تريد أن تهديني، **أنا**؟!

انظر إلى الكبر!

يا ليتنا نسمع من يقول لنا كلمة: "وأهديك إلى ربك"

يا ليتنا نقابل من يقول لنا:

"..هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ * وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ" [النازعات:18-19].

يا ليت..

أين هذا الشخص، فنســـــافر له!

إن الإنسان المؤمن عندما يسمع من يقول له: "وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ"

يقول له: أنا معك.

سيدنا موسى –عليه السلام– كليم الله، نبيٌ يُعلم الناس، لَمّا سمع أن هناك من سيقربه إلى الله أكثر؛ ترك كل شيء وسافر إلى مجمع البحرين!

وقال له: أنا تابع، أنا خادم، أنا معك..

قال له: تسير معي دون أن تسأل،

قال له: لن أسأل، طالما أني سأعرف عن الله!

ترك كل شيء..!

ليست هناك مشاكل –كما تكلمنا في مسألة التربية النفسية– ليست هناك مشاكل نفسية..

لم يشعر في نفسه: أنا كليم الله، ويُعلمني الخضر؟!

لم يقل هذا– عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم–، بل ذهب دون تفكير،

وقال: أين هو يا رب؟ دُلني عليه..

لَمّا سُئل موسى: هل في الأرض من هو أعلم منك؟ قال: لا،

فعاتبه الله أن لم يقم برد العلم إليه، وقال: بلى إن عبدي فلان أعلم منك في مسألة من المسائل..

دُلني عليه.. أين هو يا رب لأذهب إليه؟

هذا هو الرد الطبيعي.

"أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا"

تلك هي المراحل، أنه لما أعرض عن الآيات: كفر،

ولما كفر؛ بَعُد بعيدًا جدًا؛ "وَتَوَلَّوْا"

والذي يرسل الله إليه آية تلو الأخرى ويعرض عنها،

يستغني الله عنه!

"وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ".

"زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ"
[التغابن:7]

"زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا"

ما علاقة قوله "أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا" بإنكاره البعث؟

هذا يعني أنه كان يحتال..

قوله تعالى: "زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا" فجأةً، بعد ما قالوا: "أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا"

تعني أنه عند إنكاره الرسالة حاول الإتيان لها بعذر..

فقال: هذا بشر ولا يمكن أن يكون بشرًا ويهدينا!

وبعدها فجأة وجد أنه ليس هناك بعث!

لماذا ليس هناك بعث؟!

هل إن جاء رسولٌ آخر ستؤمن بالبعث؟

إذًا، المشكلة الحقيقية للكفار هي مع يوم القيامة، لا مع النبي صلى الله عليه وسلم، ولا مع الداعية، ولا أي شيء آخر..

مشكلتهم الحقيقية مع يوم القيامة!

مشكلة العلمانية مع يوم القيامة، ليس مع أي شخص آخر، مشكلتهم مع اليوم الآخر،

لكنه يجعلها في أي شيء ويحاول الخروج من المأزق بأي مبرر،

تلك هي مشكلتهم: البعث والحساب يوم القيامة.

وفي سورة الجمعة:

اليهود يلتقُّون ويدورون؛ لأنه يريد أن يعصي كما يشاء، ولا يريد أن يكون ملزمًا، ولا أن يحاسبه أحد على شهواته، فحَفِظَ التوراة صمًا في بيت العبادة، ثم خرج يفعل ما يريد!

قيل له: ما هذا؟!

قال لهم: لا بأس؛ هذا شيء اسمه العلمانية

فسألوه: هل هو شيء جميل؟!

فأجاب: أجل، شيء جميل جدًا أن يكون الدين في دور العبادة فقط، وخارجه تفعل ما تشاء.

الكفار كانوا صريحين، قالوا: **ليس هناك بعث**.

لماذا ليس هناك بعث؟!

لكي أفعل ما أريد!

لأنه لو كان هناك بعث؛ فإنني سأُسأل،

ولو سُئلت؛ فإنني سأحاسب،

وإن كنت سأحاسب إذًا؛ فلا بد أن أنتبه إلى أفعالي،

وإن انتبهت لها؛ فلن أفعل ما أريد!

هذه السلسلة، من أين يمكن قطعها؟

من بدايتها؛ أنه ليس هناك بعث!

أغلب الناس الآن في عصرنا ظاهريًا يقولون: هناك بعث..

أعني أغلب العالم، لا أقصد المسلمين، حتى وإن كان ظاهريًا يقول على نفسه يهوديًا أو نصرانيًا، لكنه لا يفكر في البعث

بالعكس، الذي يتكلم على الموت الآن: مجرم، إنسان كئيب لا يريد أن تتقدم الحياة، وإنسان متخلف،..

هذا الإنسان الذي يتكلم عن الموت، الإنسان الذي يتكلم عن البعث، الإنسان الذي يتكلم عن الحساب، الإنسان الذي يتكلم عن الغيب،...

الآن هناك صراع بين التقدم العلمي الغربي وبين البعث، صـــراع.. صراع رهيب..!

ويقومون باستعمال كل ما أوتوا من قوة لصرف الناس عن البعث، وعن التفكير في البعث.

فكلمة "لَنْ يُبْعَثُوا" هذا الزعم يحاولون تمرير هذا المفهوم للناس،

حقنة التخدير تلك التي تجعله يفعل ما يريد، يحاولون تمريرها للناس.

"زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا" ..

عندما قالوا: "أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا" ؟

كان الرد: "وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ"

لكن عندما قالوا لن يُبعثوا، كان الرد صارمًا: قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ "

هم أنكروا البعث، لكن عندما جاء الرد قال تعالى: "بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ"

هو كان يتكلم عن البعث فقط، لم يتكلم عن مسألة أنه يُنبأ بما عمل،

لماذا قال الله له: لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ **لَتُنَبَّؤُنَّ** بِمَا عَمِلْتُمْ ؟

لماذا قال له الله هذا مع أنه أنكر البعث فقط؟!

لأن إنكاره للبعث سببه الأساسي أنه لا يريد أن يُحاسب على ما فعل!

مثال: عندما يكون هناك شخص يخاف أن يرسب، فيقول لك ليس هناك امتحان،

فتقول له: والله هناك امتحان وسترسب..

هو لم يتحدث عن الرسوب، هو يخاف أن يرسب؛

لذلك يقول: ليس هناك امتحان، الامتحانات ألغيت، لم يعد هناك امتحانات!

فتقول له: والله هناك امتحانات، وسترسب..!

أنت وضعته أمام الجزء الذي كان يريد الهروب منه.

" قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ"

وكل شئ فعلته سوف تنبأ به وستسأل عنه وستُفضح

"ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ"

وانتبه!

هذا أمر يسير جدا على الله

"وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ"

زيادةً في الضغط النفسي عليهم، الأمر أسهل مما تتخيل:

" مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ" [لقمان:28]

ماذا تظن؟!

"فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"[التغابن:8]

وما دمتم عرفتم ذلك، " فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا.."

إذًا، لو أردنا أن نتعلم من سورة التغابن: **كيف يُغبن الإنسان؟**

(1) : يُغبن الانسان إذا : **نسي أن الله له الملك وله الحمد وهو علي كل شي قدير**

فنسيان "لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" يجعلك تُغبن في أفعالك.

(2) : **نسيان الدار الآخرة**

على قدر بُعدك عن تذكر البعث، على قدر ما تغبن في أفعالك. غياب الدار الآخرة عن أي مجلس يجعلك تُغبن فيه، مباشرةً!

فعلى قدر اقتراب أي مجلس من تذكر الدار الآخرة؛ على قدر زيادة الانتفاع بهذه الجلسة، وعلى قدر بُعد هذا المجلس –حتى لو كان مجلس ديني– قد يقتتلوا فيه..

إذًا؛ على قدر تذكر الدار الآخرة في المجلس على قدر عدم الغُبن.

(3) : **مفاهيمك لو لم تكن مستقاة من القرآن؛ ستظل ستمشي في الظلام..!**

"..وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا.."

" فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ "

وماذا؟

"وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا"

" وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير"

لاحظ تكرار كلمة العلم في السورة، كل أفعالك الله يعلمها وسوف يسألك عنها؛ كي تعيش ولا تخسر لحظة من حياتك في غير طاعة الله.

"يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" [التغابن:9]

"يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ"

يا رب استر، يا رب..

"ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ "

يوم القيامة جاء بأسماء كثيرة في القرآن، هنا سُمي ((يوم التغابن)) أي ذلك اليوم يُغبن الناس فيه.

كأن معنى الآية بصيغة الحصر والقصر، **هذا اليوم الوحيد الذي فيه خسارة!**

كيف هذا؟!

أنا يوم كذا خسرت مليون جنيه؟

هذا لا يساوي شيء بالنسبة لخسارة يوم القيامة!

فلان خسر 3 مليار جنيه..

لا يساوي شيء بالنسبة لخسارة يوم القيامة!

فلان خسر 10 مليار دولار..

لايساوي شيء بالنسبة لخسارة يوم القيامة!

فلان رسب وطرد..

أيضا لا يساوي شيء بالنسبة لخسارة يوم القيامة!

"انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ" [الإسراء:21]، الفوارق بالنسبة للآخرة مبهرة.

قال تعالى: "ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ"

ما معنى تغابن؟

سأعطيك مثالًا كي تفهم كيف يغبن الإنسان..

أحد الأشخاص مثلًا يمتلك سيارة غالية وحديثة وفخمة، ولكن هذا الشخص (الأول) ساذج وليس لديه خبرات، وذهب لصاحبه (الثاني) الذي يمتلك سيارة رديئة وقديمة، فوجد أن سيارته صغيرة، ويمكن أن تسير في أي مكان مهما كان رديئًا، فانبهر بها!

قال الأول للثاني: مارأيك أن نتبادل السيارات؟!

الثاني وجد في الأول سذاجةً فرد عليه: لا لا، لا يمكن أن أفرط فيها أبـدًا!

فأخذ الأول يستحلفه ويستعطفه، حتى أظهر له الثاني أنه سيتنازل عنها له إرضاءً لخاطره وأعطاه إياها..

بمجرد أن يأخذها ويركبها، سيدرك الفارق!

أصوات غريبة، وطريقة غريبة لقيادتها، كائن آخر غير الأول..!

سيُدرك حينها الغُبن الذي وقع فيه ولم يكن يتخيله..

الناس حوله ستتساءل ما هذا الذي صنعت؟!

فيتحسر.. ما هذا الذي صنعته بنفسي؟!

دعك من هذا..

أنت في حياتك لو كان معك هاتف محمول بألف جنيه، وبعته بتسعمئة، تجد أنك تتحسر وتتضايق..

قد يشتري الواحد منا سيارة ويخسر فيها ألف جنيه.. يتحسر!

لكن هذا لا يسمى غُبنًا..

الغبن في اللغة يطلق على: **[الخسارة الفاحشة]**

لذلك، يوجد في الفقه مايسمي بأنواع الخيار..

ما معنى الخيار في الفقه؟

أني لو اشتريتُ شيئًا، أكون مخيرًا في العقد أن أفسخه لو حدثت بعض الأمور..

ومن أنواعه: خيار العيب، مثلًا أني لو وجدت السلع معيوبة؛ أنا مخير أني أتراجع عن البيع

فالنبي صلي الله عليه وسلم يقول : "البيعان بالخيار مالم يتفرقا" [6] النبي أعطاك مهلة.

مثال:

لو اشتريت منك سلعة واتفقنا على مبلغ معين، وما زلنا في نفس المجلس، فالمشتري له حق الفسخ وهذا يسمى (خيار المجلس).

يوجد خيار اسمه (خيار الغُبن)، ومعناه: أنا مُخير أن أفسخ البيعة لو اكتشفت أني غُبنت.

[6] " البيِّعانِ بالخيارِ ما لَمْ يتفَرَّقا ، أو يخيِّرْ أحدُهما صاحِبَهُ ، فإنَّ خيَّرَ أحدُهما صاحِبَهُ ، فتبايعا على ذلِكَ ، فقد وجبَ البيعُ . المتبايعانِ بالخيارِ ما لم يتفرَّقَا ، إلا أن يكونَ البيعُ كان عن خيارٍ فإنْ كانَ البيعُ عن خيارٍ ، فقد وجب البيعُ"

الراوي : عبدالله بن عمر | المحدث : الألباني | المصدر : إرواء الغليل | الصفحة أو الرقم: 1310 | خلاصة حكم المحدث : صحيح

لو السلعة بألف وأنت اشتريتها بتسعمئة، لا يحق لك الفسخ؛ لأن هذا ليس غبنا..

إنما لو أن السلعة بألف وأنا لا أعرف، وأنت اشتريتها بأربعمئة، حينها الشرع يعطيني حق الفسخ، وهذا يسمى (خيار الغُبن)..

ويعني: أنه من حقك فسخ عقد البيع، إذا غُبنت، أي خسرتَ خسارة فاحشة؛ وليس خسرت فقط.

فالغبن هو: الخسارة الفاحشة.

ولذلك، كان أحد الصحابة- منقر بن حبان-، كان قد أصيب في غزوة أحد في رأسه إصابة أثرت على تركيزه، وكان يحب التجارة جدًا، فكان يتاجر، وكان أحيانا يُغبن في التجارة، ويستغله الناس، ويغشونه، فذهب أهله إلى النبي يشتكون منه ويريدون منعه من البيع والشراء والحجر عليه،

فذهب هُو للنبي صلي الله عليه وسلم مشتكيا أهله،

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: عند البيع قل: لاخلابة، ولي الخيار ثلاثًا[7]

لاخلابة: أي لا خداع

ولي الخيار ثلاثا: أيْ أنا من حقي أن أفكر وأستشير أهلي، وأرجع مرة أخرى في البيع.

الشاهد، أن الغبن لا يسمي غبنًا إلا إذا كانت **خسارة فاحشة، كبيرة، عظيمة.**

فيوم القيامة، هناك الدرجات في الجنة، ليست مثلا الدور الأول بدلًا من الدور الثاني كالعمارة، لا..

ولكن، ما بين الدرجة والدرجة، كما بين السماء والأرض!

يعني الفروقات رهيـــــــبة

وحينها، يوم القيامة، تسمع طوال الوقت صيحات التعجب، والاندهاش، والحسرة، والندم،

تتذكر يوم كذا عندما ضيعت الصلاة، سوف ترى الفرق!

الجميع يتحسر؛ المسلم والكافر، الطائع والعاصي، الكل يمشي مغبونًا!

الكل يتحسر..

كم ضيعتُ من تسبيح! كيف أثر القيام في الدرجات! هذه الليلة، آآآآهٍ لو كنتُ قمتها!..

الكل يردد هذا الكلام عندما يرى عِظَم الثواب..!

[7] " سمعتُ رجلا من الأنصارِ يشكو إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أنه لا يزالُ يُغبنُ في البيعِ، فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إذا بايعتَ فقلْ : لا خلابةَ ، ثم أنتَ بالخيارِ في كل سلعةٍ ابتعتها ثلاثَ ليالٍ ، فإن رضيتَ فأمسكْ وإن سخطتَ فاردُدْ "

الراوي : عبدالله بن عمر | المحدث : النووي | المصدر : المجموع | الصفحة أو الرقم: 189/9 | خلاصة حكم المحدث : حسن

"ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ"

الغبن:

(1) : يكون خسارةً فاحشة

(2) : أن يكون عن خفاءٍ وجهل

قالوا: الغُبن أن تكون غير مبالٍ؛ كما كان الشخص الذي يمتلك السيارة الحديثة الفخمة ولا يعرف قيمتها، وكذلك كل من معه شيءٌ قيمٌ ولا يعرف قيمته، فضيَّعه وهو لا يدري!

ولذلك، النبي صلي الله عليه وسلم يقول: "نِعْمَتانِ مَغْبُونٌ فِيهِما كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ والفَراغُ" .[8]

على سبيل المثال، إذا نزلت على أهل بلد كلهم يمتلكون سيارات حديثة وفخمة، وكلهم ملوا منها، فنزلوا على أناس معهم سيارات موديلات قديمة جدًا ورديئة، فأصابهم الحنين إليها، فأرادوا استبدالها!

هكذا الذي لا يشعر بقيمة ما معه، يُغبن فيه بسهولة؛ لأنه لا يعرف قيمته،

هو لا يدرك قيمته؛ لكثرته وسهولته.

فتجد أحدهم عنده أوقات فارغة، فلا يبالي بالأيام،

لا فرق عنده بين اليوم والغد، ولا بين الليل النهار، ولا بين الأيام والشهور،

تمر عليه الأيام والشهور والأعوام لا يبالي بذلك، الأيام عنده كلها سواء..!

ويقول لك: أنا أشعر بالملل.. لماذا؟!

لا أدري ماذا سأفعل اليوم، كيف أقضي وقتي وأضيعه، جرب كل شيء في الدنيا..!

هذا يوم القيامة سيعلم ويدرك ويكتشف، أنه كان يملك ثروة كبيرة، كمن يملك المليارات مثلا، بل أكثر من ذلك!

تخيل معي مثلا أنه يوجد ورقة بمليار دولار-كما أن هناك ورقة ب100 جنيه- فأخذها أحدهم ووضعها في جيبه، فجاءه آخر يقول له: أريد رقم فلان، هل يمكن أن تكتبه لي؟

فقام بإخراج الورقة التي في جيبه بمليار دولار، وكتب عليها الرقم وأعطاها له!

[8] الراوي : عبدالله بن عباس | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 6412 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

يا ترى كيف يكون شعوره، حين يعود إلى بيته، ويكتشف أن هذه الورقة التي كتب عليها هي ورقة المليار دولار؟!

ولله المثل الأعلى.

هذا بالضبط ما يقوم به هذا الإنسان –الذي يمتلك وقت فراغ وصحة– ثم يضيعون منه بدون عمل صالح أو طاعات،

سيندم يوم القيامة ندمًا شديدًا..

لن يندم فقط، هو ليس خاسر فقط، ولكنه مغبـــــون!

النبي صلي الله عليه وسلم هنا لم يقل خسران، ولكن قال(**مغبون**)!

كان معه مليارات وضيعها، هذه تعني خسارة فادحة، خسارة غير متصورة، عن جهل!

الذي يقضي أيامه كل يوم يخرج في مكان، ويذهب إلى هنا وهناك، لأنه لا يعرف أين يضيع وقته

الذي يمر عليه الصيف، في ملل، لا يدري أين يذهب، وكيف يضيعه

هذا **مغبون!**

والنبي صلي الله عليه وسلم ماذا يقول؟

نعمتان مغبون فيهما **كثيـــــــــــــر!**

ولذلك هناك كلمة مشهورة عند العلماء:

يتمنوا لو أن هؤلاء المضيعين لأوقاتهم في غير فائدة وعمل لو يبيعون أوقاتهم، فيشترونها منهم،

"والله لو باع وقته بمليون جنيه لاشتريتهُ منه!"

ولكن، تجد هذا الآخر المضيع وقته، الزاهد فيه، يتساءل: ماذا سيفعل بها؟!

خذها بعشرة جنيهات فقط وليس مليونًا!

لو يملك أن يبيع وقته بثمن بخس لباعه؛ لأنه لا يعرف قيمة وقته أصلا، هو لا يستفيد منه شيئًا!

عندما تسمع قول الله تعالى: " لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُم" [النساء:114]

تجد فعلًا..!

معظم جلساتنا ضياع، معظم كلامنا فارغ، لا فائدة منه..

معظم جلسات الناس لا تُدخلهم الجنة، وسيتحسرون عليها يوم القيامة..

وأي مجلس نجلسه، ولا نذكر الله فيه، ولا نصلي على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، إلا كان على صاحبه تِرَة[9]، حسرةً يوم القيامة.

لماذا؟

مجلس كان يمكن أن يُدخله الجنة ولم يُدخله!

يندم يوم القيامة، حتى المؤمن!

فانتبه !

فيوم القيامة ملـــــــــــــــيء بالحسرات، والخسارات والاكتشافات..

يااه.. لو لم يفتني هذا المجلس!

آآآه.. لو كنتُ جلست في المسجد بين المغرب والعشاء!

يااه.. أقل من ساعة بعد الفجر كانت بأجر حج وعمرة!

علينا أن نُذكّر أنفسنا ونحنُ لا نزال في الدنيا!

لأجل ذلك، عندما جاء رجل لابن عمر ينقل له حديث النبي –صلى الله عليه وسلم–:

" من صلى علي جنازة؛ كُتب له قيراط، ثم من تبعها حتى تُدفن؛ كتب له قيراطان "[10]

أي: من يصلي عليها ويتبعها حتى تدفن يكتب له قيراطان، والقيراط: مثل جبل أحد..

عندما سمع ابن عمر هذا الحديث انزعج وقال للرجل: ارجع لأبي هريرة واسأله هل أنت متأكد، وظل منزعجا يمسك الحصا ويرميه حتى عاد الرجل وأكد له الحديث، فغضب ابن عمر وقال : كم فرطنا من قراريط![11]

---

[9] " ما جلَس قومٌ مجلِسًا لَمْ يذكُروا اللهَ فيه إلَّا كان عليهم تِرَةً، وما مشى أحَدٌ مَمْشًى لَمْ يذكُرِ اللهَ فيه إلَّا كان عليه تِرَةً، وما أوى أحَدٌ إلى فراشِه ولَمْ يذكُرِ اللهَ فيه إلَّا كان عليه تِرَةً "

الراوي : أبو هريرة | المحدث : ابن حبان | المصدر : صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 853 | خلاصة حكم المحدث : أخرجه في صحيحه

[10] "مَن تبِع جنازةً فصلَّى عليها فله قيراطٌ ، فإن شهِد دفنَها فله قيراطانِ"

أخرجه البخاري (47)، ومسلم (945)، وأبو داود (3168)، والترمذي (1040)، والنسائي (1996)

[11] أنَّهُ كانَ قاعِدًا عِنْدَ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ، إذْ طَلَعَ خَبَّابٌ صاحِبُ المَقْصُورَةِ، فَقالَ يا عَبْدَ اللهِ بنَ عُمَرَ: ألَا تَسْمَعُ ما يقولُ أبُو هُرَيْرَةَ، أنَّهُ سَمِعَ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: مَن خَرَجَ مع جِنَازَةٍ مِن بَيْتِهَا، وَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ تَبِعَهَا حتَّى تُدْفَنَ كانَ له قِيرَاطَانِ مِن أجْرٍ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَن صَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ رَجَعَ، كانَ له مِنَ الأجْرِ مِثْلُ أُحُدٍ؟ فأرْسَلَ ابنُ عُمَرَ خَبَّابًا إلى عَائِشَةَ يَسْألُهَا عن قَوْلِ أبِي هُرَيْرَةَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إلَيْهِ فيُخْبِرُهُ ما قالَتْ: وأَخَذَ ابنُ عُمَرَ قَبْضَةً مِن حَصَى المَسْجِدِ يُقَلِّبُهَا في يَدِهِ، حتَّى رَجَعَ إلَيْهِ الرَّسُولُ، فَقالَ: قالَتْ عَائِشَةُ: صَدَقَ أبُو هُرَيْرَةَ، فَضَرَبَ ابنُ عُمَرَ بالحَصَى الذي كانَ في يَدِهِ الأرْضَ، ثُمَّ قالَ: لَقَدْ فَرَّطْنَا في قَرَارِيطَ كَثِيرَةٍ.

الراوي : أبو هريرة | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 945 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

أريدك أن تتخيل أن كل جنازة تَمُر هي جبل حسنات يمر،
كل شيءٍ تعامل معه هكذا؛ تخيله في مشهده الحقيقي..
ستشعر كم نحن نُغبَن!

كل فقيرٍ كان فرصة،
كل مجلس طاعة كان فرصة،
كل ليلةٍ كانت فرصة،
كل فرضٍ كان فرصة،
كل مريضٍ تزوره كان فرصة،
كل شيءٍ كان يمر عليك تنالُ به ثوابًا كان فرصة،
لكن نحن من نضيعها ونُغبَن فيها!

أسأل الله عزوجل أن يستعملنا في طاعته،
نكمل بعد الصلاة.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد صلى الله عليه وسلم.

توقفنا عند قول الله – عزوجل– :
" يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ "
تكلمنا عن الغُبن، وقلنا أن الغبن هو الخسارة الفاحشة التي هي نتيجة خفاء عن الإنسان وجهله بقيمة الذي معه، فالإنسان يُغبن في الشيء عندما لا يَخْطُر في باله ولا يعرف قيمته.

" ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ"
ماذا أفعل حتى لا أغبن؟

" وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ "

"ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ "

أي ذلك فقط هو الذي يستحق تسمية (**الفوز العظيم**)، وما سواه لايستحق هذا الاسم!

ما سوى الفوز يوم القيامة لا يستحق اسم الفوز العظيم!

والسورة مليئة بالعمل، سورة التغابن مليئة بالعمل..

وكأن بعد سورة الصف والجمعة، **أكثر سببين يفرقان تجمعنا وصفنا:**

(1) : المنافقين الذين في الصف

(2) : قلة العمل، والجلسات التي كلها غبن

هذه الجلسات كفيلة أنها تهدم الصف، قلة العمل الصالح يهدم أي صف ويفرق أي تجمع.

لأجل ذلك، يقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: ماغضب الله على قوم إلا ..[12]

ماذا يفعل الله – سبحانه وتعالى – مع القوم الذين يغضب عليهم؟

إلا وأعطاهم الجدل[13] ومنعهم العمل.

ما غضب الله عل قوم إلا وأعطاهم الجدل ومنعهم العمل.

فحقًا، من التغابن أن أي مجالس فيها غبن مع إخوانك تأكّد أنه سينقلب إلى مشكلة،

لا بد أنه سيفرقهم..

"الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ" [الزخرف:67]

كلما قلّت التقوى في تجمع، دخلت فيه المشاكل.

" وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ" [التغابن:10]

" وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ"

ذَكَر الله أعلى غُبن هنا، وأعلى كسب هنا..

---

[12] لم نقف على نص هذا الحديث

[13] "ما ضلَّ قومٌ بعدَ هُدًى كانوا عليه ، إلَّا أوتُوا الجدلَ"

الراوي : أبو أمامة الباهلي | المحدث : السيوطي | المصدر : الجامع الصغير | الصفحة أو الرقم: 7915 | خلاصة حكم المحدث : صحيح

أعلى كسب هنا :

" وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ "

وفي النار :

" وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا "

أعلى غبن!

إذًا، نحن قلنا أن في الغبن شيئين:

خسارة فاحشة، وجهل

النقطة الثالثة في الغبن: صيغة التغابن

قال تعالى: " ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ"

لماذا سُمي يوم التغابن ولم يُسمَ يوم الغُبن ؟!

قالوا: أن التغابن صيغة **تفاعُل**،

أي: تشارُك بين اثنين،

أي: تقاسُم فلان وفلان، يعني هناك شيء اشتركوا فيه، تشارك فلان وفلان، تصارُع فلان وفلان؛

صيغة تشارُك بين اثنين.

فالتغابن لا تعني فقط أن شخص قد خسر،

ولكن هناك أيضًا شخص آخر قد كسب ما خسره المغبون!

مثل صاحب السيارة الفخمة وصاحب السيارة الرديئة، حدث بينهم تغابن، فمنهم من أخذ الشيء الكبير جدًا، ومنهم من أخذ الشيء الصغير جدًا..

فالذي يحدث، أن لكل إنسان منزل في الجنة ومنزل في النار،

كل منَّا له مكان في الجنة ومكان في النار،

إذا أطاع الله –عز وجل– يدخل منزله في الجنة، وشخص آخر من العصاة يأخذ مكانه في النار.

فأنت إذا دخلت الجنة؛ أهل الجنة أخذوا أماكنهم التي في الجنة، سيجدون أماكن فارغة، هذه الأماكن التي كانت تخص أهل النار،

وأهل النار؛ سيجدون أماكن فارغة، هذه الأماكن التي كانت تخص أهل الجنة،

فأهل الجنة يرثون أماكن أهل النار، أي خسارة وأي حسرة هذه!

وكما ورد في الحديث عن القبر؛ يُفتح للطائع باب للنار ويقول له: هذا منزلك[14] من النار، هذا منزلك، هذا ملكك، هذا باسمك، هذا منزلك من النار لو كنت عصيت الله..

والعاصي الذي يدخل النار يفتح له باب للجنة ويقال له: هذا منزلك[15] من الجنة لو كنت أطعت الله..

يا للحسرة!

فعندما يأتي أحد في الجنة، يُقال له: الأرض التي بجانبك هذه، خذها..

حقًا؟! نعم.. كانت ملك فلان الذي في النار، وهي الآن ملكك!

حقًا، أهل النار: " فَمَا رَبِحَتْ تِّجَارَتُهُمْ.." [البقرة:16]

لأجل ذلك؛ تجد ألفاظ البيع والشراء كثيرة مع أهل الجنة ومع أهل النار..

مع أهل الجنة:

"وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ" [البقرة:207]

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ " [الصف:10]

ومع أهل النار:

"..اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ" [البقرة:175]

يعني من غَبُن نفسه، واستبدل الرديء بالطيب، ماذا تقول له؟!

فما أصبرك!

---

[14] "..ثمَّ يُفتَحُ له بابٌ إلى النَّارِ فيقولُ : هذا كان منزلُك لو كفرتَ بربِّك ؛ فأمَّا إذ آمنتَ ؛ فهذا منزلُك ؛ فيُفتَحُ له بابٌ إلى الجنَّةِ.. "

الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: الألباني | المصدر: السلسلة الصحيحة | الصفحة أو الرقم: 3394 | خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح

[15] "... ثمَّ يُفتَحُ له بابٌ إلى الجنَّةِ ، فيقولُ : هذا منزلُك لو آمنتَ بربِّك ، فأمَّا إذ كفرتَ به؛ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أبدلك به هذا، ويُفتَحُ له بابٌ إلى النَّارِ.."

الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: الألباني | المصدر: السلسلة الصحيحة | الصفحة أو الرقم: 3394 | خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح

" مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ **عَلِيمٌ**" [التغابن:11]

مرةً أخرى ذكر العلم،

"وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ" [التغابن:12-13]

هذه الآية تخص المصيبة:

" مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ **عَلِيمٌ**" [التغابن:11]

ما سبب مجيئها في سورة التغابن؟

من المعاني التي تؤكد عليها السورة:

أنك لا يصح أن تُغبن في أي مجلس، ولافي خواطرك..

لا يصح أن تُغبن، ولا في أي شيء!

كُل شيءٍ عليك أن تجني منه حسنات!

كل مريض فرصة للحسنات،

كل جنازة فرصة للحسنات،

كل صديق فرصة للحسنات،

نفترض شخص جاءت له مصيبة،

المصيبة أيضا فرصة للحسنات!

الذي يتدبر سورة التغابن، تتحول المصيبة عنده إلى فرصةٍ ليقول: " إنا لله وإنا إليه راجعون "

فينال رحمة من الله –سبحانه وتعالى– وهداية .

"لاتتمنوا لقاء العدو"[16] أي: لا يتمنى أحدٌ البلاء.

إذا ابتُلي أحد بموت ابنه مثلا، هذا ابتلاء صعب جدًا – نسأل الله أن يشفي جميع الأطفال– المفترض أنه لا يمر هذا البلاء بدون أن يخرج منه ببيت الحمد.

[16] الراوي : موسى بن عقبة | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 1742 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

كما قال النبي – صلي الله عليه وسلم –:

" إذا مات ولدُ العبدِ قال اللهُ لملائكتِه : قبضتُم ولدَ عبدي ؟ فيقولون : نعم.

فيقول : قبضتُم ثمرةَ فؤادِه (الذي يحبه جدًا) ؟ فيقولون : نعم.

فيقولُ الله عزوجل لملائكته – وهو أعلم –: ماذا قال عبدي ؟

فيقولون : حمِدك واسترْجَع .

فيقول [اللهُ تعالى] : ابنوا لعبدي بيتًا في الجنَّةِ ، وسمُّوه بيتَ الحمدِ" [17]

الذي يحمد الله عند قمة المصيبة يأخذ بيت الحمد؛ لأنه استطاع أن ينظر إلى ما وراء المصيبة ويحمد الله، فأفعال الله كلها محمودة..

فمن يقدر أن ينفذ بقلبه وبصيرته إلى ما وراء المصيبة ويقول: الحمدلله على المصيبة، هذا يستحق بيت الحمد.

فكل مصيبة يمكن للإنسان أن يخرج منها ولا يُغبن.

أم سلمة –رضي الله عنها– كانت تُحب زوجها أبو سلمة،

فلما مات قالوا لها: قولي إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيرا منها،

فقالت: وهل في الدنيا خيرٌ من أبي سلمة؟ [18] (أي ليس هناك مثل أبي سلمة، وقد مات)

فقالتها، فرزقها الله خير من أبي سلمة، تزوجها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأصبحت من أمهات المؤمنين.

هذا وجه ورود ذكر المصيبة في سورة التغابن.

---

[17] **الراوي : أبو موسى الأشعري | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الترغيب | الصفحة أو الرقم: 2012 | خلاصة حكم المحدث : حسن لغيره**

[18] عن زَوجِها أبي سَلَمةَ قال: سمِعْتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: ما من أحَدٍ منَ المُسلِمينَ يُصابُ بمُصيبةٍ، فيقولُ: إنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعونَ، اللَّهُمَّ إنِّي احتَسَبْتُ مُصيبَتي عندَكَ، فأبدِلْني خَيرًا منها، إلَّا أبدَلَه اللهُ خَيرًا منها، فلمَّا تُوفِّيَ أبو سَلَمةَ قُلْتُ: إنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعونَ، اللَّهُمَّ إنِّي احتَسَبْتُ في مُصيبَتي، فأبدِلْني به خَيرًا منه. قالت: وجعَلْتُ أقولُ في نفْسي: مَن خَيرٌ من أبي سَلَمةَ، فجاءَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فخطَبَني فتَزوَّجْتُه.

الراوي : أم سلمة أم المؤمنين | المحدث : شعيب الأرناؤوط | المصدر : تخريج مشكل الآثار | الصفحة أو الرقم: 5754 | خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح

نقطة أخرى:

أحيانا يُبتلي الإنسان في الطاعات، فلا يجوز أن يترك الطاعة لأجل الصعوبة أو المصيبة أو العائق الذي قابله في تحصيل الطاعة، لكي لا يكون إنسانًا مغبونًا،

هذا عمل "الذي تولى"!

كما قال تعالى: " أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى * وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى" [النجم:33-34]

ماذا يعني: " وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى" ؟

قالوا: أكدى؛ تعني أن شخصًا كان يحفر نهرًا أو شيئًا في الأرض، فأثناء حفره وجد كُدْيَة- أي صخرة - فترك الحفر وذهب..!

فكلمة أكدى؛ تعني أنه وجد صعوبة في الطريق، فتركه وذهب..

فهذا إنسانٌ مغبون.

لأجل ذلك أتت السورة هنا في الجزء الثاني بنموذجين:

* نموذج الذي أُصابَ بمصيبة

وبعض المفسرين قالوا: **المصيبة هنا هي الهجرة والجهاد**

فأشق شيء على الإنسان: ترك الوطن وترك الولد وترك المال،

هذا من أشق وأصعب الأشياء على النفس البشرية.

لذلك؛ يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ : تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ ،

(الشيطان يقول له يا مجنون إلى أين تذهب؟! اعقل!)

فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ ،

ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ ، فَقَالَ : تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ ، وَسَمَاءَكَ ،

فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ ،

ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ ، فَقَالَ : تُجَاهِدُ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ ، فَتُقَاتِلُ ، فَتُقْتَلُ ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ وَيُقْسَمُ الْمَالُ ،

فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ.."[19]

[19] الراوي: سبرة بن الفاكه المخزومي الأسدي| المحدث: الألباني| المصدر: صحيح النسائي| الصفحة أو الرقم: 3134| خلاصة حكم المحدث: صحيح

فأصعب شيء: الجهاد والهجرة،

فهذه هي المصيبة التي ابتُلي بها المسلمون..

"وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ"

أي ومن يتبع رضوان الله عزوجل في الهجرة والجهاد،

"يَهْدِ قَلْبَهُ"

ويوفقه ويجعله هادئًا مطمئنًا راضيًا

وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"

لكن هؤلاء الذين قعدوا مع أزواجهم وأولادهم -في الآية التي تليها- :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" [التغابن:14]

" إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ "

سبب نزول الآية أن هناك مسلمين هاجروا، فبعض المسلمين عندما أراد الهجرة تمسك بهم زوجاتهم وأولادهم، وقالوا لهم: حـــــرام!.. لمن تتركنا؟!

=إذًا هاجروا معنا

-ولمن نترك بيوتنا؟

=إذًا، أحضروا ما تستطيعون معنا

-ولمن نترك كذا وكذا ؟

=ماذا أفعل إذًا؟ هذه الهجرة واجبة.

إذًا، لا بد أن نفهم أن: **الدين يحتاج إلى تضحية!**

لن تقوم بأوامر الدين وتظل ملابسك مهندمةً كما هي..!

لابد من البذل والتضحية..!

مثلا؛ نريد أن نجاهد..

=لكن إذا جاهدت هناك احتمال أن تصاب..

-وارد، نعم أعلم..

=حسنًا، افترض أني مِتُّ..

-هذا طبيعي!

الله سبحانه وتعالى قال:

" وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ " [النساء:74]

أي أن احتمال الموت قبل النصر هذا هو الأصل!

هذا كله طبيعي،

فما كيفية البذل في الدين في اعتقادك؟